

الشعرية بين التصور الفلسفي والتصوير النقدي
Poetics between philosophical visualization
and critical visualization

منال عطوي *

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (الجزائر)

manalAtoui01@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022-01-30	تاريخ التقييم: 2022-05-22	تاريخ القبول: 2022-06-15
---------------------------	---------------------------	--------------------------

الملخص:

تعد الشعرية من القضايا الجوهرية التي عالجها الفكر الغربي والعربي، حيث حظيت بقسط كبير من النقد والتنظير من لدن الكثير من الفلاسفة والنقاد الذين أنتجوا دراسات كثيرة حول الشعرية، والتي أسهمت في توضيح مفهومها وعلاقتها بالشعر والنثر ومدى ارتباطها ببقية الفنون الأخرى، فالشعرية بمثابة المعيار الذي من خلاله نستطيع الحكم على العمل الأدبي وقياس جودته من عدمها، باعتبار النص الأدبي فضاء لغويًا يضم نسيجه مجموعة من العناصر والمعاني.

من هنا جاء الاشتغال على موضوع الشعرية في هذا المقال، ولاستجلاء هذه الظاهرة حاولنا الوقوف على لفظة الشعرية في بعض القواميس العربية وبيان علاقتها ببقية العلوم الأخرى، لنصل إلى التصور الفلسفي والنقدي لها، عبر إشكالية مفادها: كيف كانت النظرة الفلسفية والنظرة النقدية للشعرية؟ وما علاقة الشعرية باللسانيات والنقد؟ كلمات مفتاحية: الشعرية؛ الشعر؛ السرد؛ الفلسفة؛ النقد.

Abstract:

Poetry is one of the core issues that Western and Arab thought has dealt with, as it has received a great deal of criticism and theorizing from many philosophers and critics who have produced many studies on poetry that have contributed to clarifying its concept and its relationship to poetry and prose and the extent of its connection with the rest of the other arts. We can judge the literary

work and measure its quality or not, as the literary text is a linguistic space whose texture includes a set of elements and meanings.

From here came the work on the subject of poetry in this article, and in order to clarify this phenomenon, we tried to identify the word poetic in some Arabic dictionaries and explain its relationship with the rest of the sciences, to reach the philosophical and critical perception of it, Through a problem: How was the philosophical view and the critical view of poetry? What is the relationship of poetry to linguistics and criticism?.

Key words: poetics; poetry; narration; philosophy; criticism.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إنّ الشعريّة من المواضيع الفكرية التي أثارت جدلاً كبيراً واحتلت موقعا متقدما في الساحة الأدبية، فهي مصطلح صعب التحديد ومتشعب الاتجاهات، كل باحث يعالجه من زاوية مختلفة، انطلاقا من كونه علما يهدف إلى تحليل مكونات العمل الأدبي من زواياها المتعددة، مع التركيز على القيمة الفنية الجمالية لذلك العمل، وانفتاحه على الأنساق الدلالية والأجناس الأدبية الأخرى، ويرجع ظهورها إلى الفكر اليوناني الأرسطي، لتتطور مع الدراسات العربية والغربية الحديثة خاصة مع الشكلانيين الروس.

فقد مثلت أبحاث هؤلاء الفلاسفة والنقاد تنويرا في حقل الدراسات الأدبية، سواء من حيث المفاهيم أو من حيث الإجراءات التطبيقية، وهذا ما سنحاول الوقوف عنده في هذه المقالة، محاولين الإجابة عن الإشكالية التالية:

- ما مفهوم الشعريّة ؟ وما الفرق بينها وبين شعريّة السرد؟
- وما هي أهم اتجاهات الشعريّة؟
- كيف نظر كل من الفلسفة والنقد واللسانيات لهذا المصطلح ؟

2 - مفهوم الشعرية:

لقد تناولت الكثير من المعاجم العربية الأصل اللغوي لمصطلح الشعرية، حيث تكاد تتفق معظم هذه المعاجم على أنّ لفظة الشعرية مشتقة من الفعل "شعر"، وهو في اللغة عند ابن منظور "شَعَرَ بِهِ وَشَعْرَ يَشْعُرُ شِعْرًا... وَلَيْتَ شِعْرِي أَي لَيْتَ عَلَيَّ، أَوْ لَيْتَنِي عَلِمْتُ ... وَأَشْعَرُهُ الْأَمْرَ: أَعْلَمُهُ إِيَّاهُ، وَشَعَرَ بِهِ : عَقَلَهُ... وَالشَّعْرُ: مَنْظُومُ الْقَوْلِ، غَلَبَ عَلَيْهِ لِشَرْفِهِ بِالْوَزْنِ وَالْقَافِيَةِ"¹.

أما في معجم الصحاح فقد جاء عن لفظة "شعر": "وشعرتُ بالشيء بالفتح أشعُرُ بِهِ شِعْرًا: فَطِنْتُ لَهُ. ومنه قولهم: لَيْتَ شِعْرِي، أي لَيْتَنِي علمت"².

هذه الاستنادات اللغوية تدل على أنّ مصطلح الشعرية يشير في اصطلاحه اللغوي إلى القول المنظوم من الشعر كما قد تحمل مفهوم الإخبار والفتنة، أما الحديث عنها في الاصطلاح فهو أمر متشعب الأطراف وصعب التحديد، كون الشعرية حقل تجاذبته علوم مختلفة كالفلسفة والنقد واللسانيات والبنوية .

لذلك تعد -الشعرية- من المفاهيم التي شابهها الغموض خاصة في بيئتنا النقدية العربية، فهي من المصطلحات التي أتتنا من خلال تفاعلنا مع النقد الغربي، هذا التفاعل ولّد تداخلا مفاهيميا لهذا المصطلح، حيث حاول العديد من الباحثين إيجاد مصطلح يكون مماثلا في شرحه ومجالاته للشعرية.

وقبل التطرق إلى هذا الشرح لا بد أن نشير إلى أنّ الشعرية من الحقول المعرفية التي مرت بمراحل زمنية مختلفة، وتجاذبتها اتجاهات فكرية عديدة، فهناك من يرجع تاريخ ظهور هذا المصطلح إلى الزمن الكلاسيكي الأرسطي في دراسة "أرسطو" للخطاب والشعر والمحاكاة.

في حين يرى اتجاه آخر أنّ أول ظهور لهذا المصطلح "قد ولد في مطلع النهضة اللسانية الحديثة، مع الفكر البنوي في طوره الشكلاني، ولكن اتساع ضفاف "الشعرية" جعل منافذها متعددة وانشغالاتها تكاد تكون مختلفة، من حيث زاوية النظر والاشتغال"³.

حيث اهتم الشكلانيون الروس منذ القديم بالأدب ودرسوا مفاهيمه وخصائصه، وأنشأوا علما خاصا به، فجعلوا له ضوابط وقوانين تحكمه، كما بحثوا في خصائصه الفنية واللغوية، في محاولة منهم إيجاد مصطلح شامل يضم كل هذه الخصائص والقوانين. ولقد تناولت العديد من الأعمال الأدبية والنقدية - عربية كانت أم غربية- هذه الظاهرة اللغوية، التي أسهمت بشكل كبير في توضيح مفهومها وعلاقتها بالشعر والنثر. وبالعودة إلى البحث عن مفهوم الشعرية وارتباطها بمفهوم الشعر ومختلف العلوم الأخرى، حيث يتبادر لذهن القارئ أنّ هذا المصطلح يتعلق بالشعر فقط، لكن الدراسات والبحوث النقدية تؤكد غير ذلك، فهي "تولي اهتماما بالأشكال الأدبية عموماً لا بفرادة عمل ما على وجه الخصوص"⁴.

والحديث عن الشعرية الحديثة امتاز باتساع مفهوم الشعر في العصر الحديث بخلافها عند الكلاسيكيين والرومانسيين، فشمل كل موضوع فني أو طبيعة خلاصة ساحرة تثير إحساسنا الجمالي وانفعالنا الإيجابي بها.

من هنا توسع موضوع الشعرية خارج الجنس الشعري ليرتبط بالأجناس الأدبية الأخرى، حيث إنّ موضوعها "ليس الذي يُنظر له بشكل مفرد بل النص الجامع أو إذا أرادت صفة انتماء النص لنص آخر... أي هي مجموعة كاملة من الفئات العامة والمهمة، وهي أنواع الخطابات وأنماط النطق والأجناس الأدبية التي يخرج منها كل نص"⁵.

وتتخذ الشعرية من اللغة وسيلة لها، سواء أكان الموضوع الحامل لخصائص الشعرية شعراً أم نثراً، لتشمل كل الفنون ذات الأبعاد الزمانية والمكانية، والمتتبع لهذه الخصائص يجد ملامح مشتركة بين الموضوعات الفنية أو الطبيعة المثيرة لانفعالنا الشعري أو إحساسنا الجمالي.

وما يهمنا هنا هو شعرية الفنون التي تتخذ من اللغة وسيلة لها للوصول بها إلى الأدبية، التي يعدّها الباحث "صلاح فضل" بمثابة معيار نستطيع من خلاله أن "نختبر درجات الصدق الفني في الأعمال الأدبية، ونقيس مستوى كفاءتها الدلالية وطرائقها في الترميز والتكثيف، وهو ما نعنيه بالشعرية"⁶، هذه الأخيرة تتجلى حسب-صلاح فضل- في

أطراف القص والقصيد، وهي التي تمكننا من تحديد الدلالة المركزية للعلامة الأدبية، وبؤرتها الفاعلة ومركز ثقلها المهيمن على الخطاب الأدبي.

هذا ما كشفت عنه العديد من المقابلات والمداخل السيميولوجية، التي توصلت إلى أنّ الأدبية هي الأداة الأولى لطريقة التحليل الاجتماعي للأدب وتحديد وظيفته السيميولوجية وذلك باستخدام اللغة.

أما في النقد الغربي فتبلورت الشعرية عند العديد من النقاد الغربيين أمثال: "تودوروف" و"جاكسون"، وهناك من يُقر أنّ لها جذورا عميقة ترجع إلى العصر الإغريقي عند: "أفلاطون" و"أرسطو" الذي أطلق عليها مصطلح (البويطيقا)، ويوجد رأي آخر يرجع مفهوم وظهور الشعرية إلى العرب القدماء.

ويمكن اعتبار تعريف "رومان جاكسون" للشعرية بمثابة التعريف الشامل والجوهري حيث إنّها: "ذلك الفرع من اللسانيات الذي يعالج الوظيفة الشعرية في علاقتها مع الوظائف الأخرى للغة، وتهتم الشعرية -بالمعنى الواسع للكلمة-، بالوظيفة الشعرية لا في الشعر فحسب، حيث تهتم هذه الوظيفة على الوظائف الأخرى للغة، وإنّما تهتم بها أيضا خارج الشعر"⁷، لتكون بذلك الشعرية عند "جاكسون" نوعا من الحلقة المعرفية للسانيات وهي جزء لا يتجزأ منها كونها تشترك معها في العديد من النقاط والخصائص، كما تهتم بالكلمات ومعانيها، ولا تقتصر دراستها على الشعر وحده بل توسع دائرتها لتضم النثر.

كما قد تحمل الشعرية مفهوم الدراسة النسقية للأدب كأدب، كونها تبحث في الخواص الشعرية العامة المشتركة بين جميع الفنون الأدبية الإبداعية، من مجازات وانزياحات وتصويرات وأخيلة، ومحورها هو دراسة الخصائص الشعرية العامة والخصائص الثانوية المميزة للإبداع الأدبي .

3- علاقة الشعرية بالعلوم الأخرى :

تعد الشعرية من الحقول الفكرية المتشابكة، التي تنطوي على مختلف المعارف والعلوم، حيث يرى "تودوروف" "أن الشعرية تستطيع أن تجد في تلك العلوم عوناً كبيراً في تشكيل شعرية الخطاب الأدبي مادامت اللغة جزءاً من موضوعاتها"⁸.

وما نستجليه من النص الأدبي هو الذي يشكل موضوعاً للشعرية أو ما يسميه بالأدبية، وهذا ما يظهر في شرحه من خلال كتابه الذي سماه بـ "الشعرية" حين قال: "كل عمل لا يعتبر إلا تجلياً لبنية محددة وعامة، ليس العمل إلا إنجازاً من إنجازاتها الممكنة، ولكل ذلك فإن هذا العلم لا يُعنى بالأدب الحقيقي، بل بالأدب الممكن"⁹.

وفي اللسانيات الحديثة يعطي "جاكوبسون" تصوراً عميقاً حول علاقة الشعرية باللسانيات، من خلال نقده للأطروحات النقدية التي تعتمد في بناءها وشروحاتها على فرضيات ومعطيات خارجة عن النص الأدبي من خلال قوله: "موضوع علم الأدب ليس الأدب، ولكن الأدبية"¹⁰ وهذا التحديد هو ما اعتبره تعريفاً دقيقاً شاملاً للشعرية، وهي عنده جزء لا يتجزأ من اللسانيات الحديثة، باعتبارها تهدف إلى دراسة مكونات العمل الأدبي وتحليل عناصره الفنية والجمالية.

انطلاقاً مما سبق تكون الشعرية ذات صلة كبيرة باللسانيات بل فرع منها، لتكون العلاقة بينهما جزءاً من كل، ولكون الشعرية تهتم بتحليل البنى والخطابات الأدبية جعلها ذات صلة أيضاً بالبنوية، وعن علاقتها يتحدث "تودوروف" قائلاً: "كل شعرية هي شعرية بنوية، لا فقط هذه أو تلك في تنوعاتها، مادام موضوع الشعرية ليس مجموع الوقائع الاختيارية (الأعمال الأدبية) بل بنية مجردة (الأدب)"¹¹.

ولم تتوقف الشعرية عن الاحتواء والتوسع لتمتد إلى السرد، إذ أصبح في العصر الحديث "النص الروائي (السردى) بخاصة من أعقد النصوص (الخطابات) على مستوى الأدبية والإيحاء والتشخيص والتخيل، وما إلى ذلك من استقطاب أوليات الرمز والتسنيين السيميائي"¹²، حيث صارت الكلمة أو اللغة هي المادة الأولية التي تعتمد في بناء النص الأدبي بما في ذلك الرواية، باعتبار هذه الأخيرة شكلاً فنياً مميزاً يسعى دائماً إلى توظيف اللغة القادرة على النهوض بمهمة التوصيل، وفي السرد المعاصر تنوعت التقنيات الدالة على

الافتتان باللغة واختلفت، وصارت اللغة بمثابة المادة الخام التي يستخدمها الروائيون في التعبير عن مشاعرهم وانفعالاتهم وأفكارهم واقعية كانت أم تخيلية.

انطلاقاً من هذا يكمن القول إنّ شعرية السرد هي فرع أو نوع من الشعرية العامة، تطورت بفعل تطور مفهوم السرد الذي توسّع وشمل جلّ الأجناس الأدبية، لتصبح الرواية هي فن العبور، حيث تسمح بدخول جميع الأجناس التعبيرية إلى كيانها وتشكل بنيتها من خلال تلك الأجناس¹³، وهذا الانفتاح ظهر جلياً في النصوص الروائية المعاصرة تحت ما يسمى بالتجريب الروائي، حيث أصبحت الرواية جنساً ثرياً، منفتحاً، يضم العديد من الأجناس الأدبية التي تتداخل فيما بينها، متجاوزة البناء الروائي الكلاسيكي .

على منوال هذا البناء سار الكثير من الروائيين المعاصرين، فغدوا يسوغون أداءهم اللغوي تحت ما يسمى بالمناخ الشعري أو أسلوب روائي قريب من الشعر، لتحقيق أصالة العمل الروائي ودرجة إبداعيته¹⁴، وذلك من خلال نسج أساليب فنية وسردية تحمل خصائص شعرية تستطيع الوصول إلى الذات المتلقية.

أما الحديث عن مقومات شعرية السرد فتتجلى في النقاط الآتية:

- تفكك المادة الحكائية بفعل انفراط حيكمتها وتشظي أحداثها.
- انكسار الزمن الخطي للسرد، أو تحطيم عمود السرد، بفعل التداخيات الحرة في استرجاعاتها واستشرافاتها.
- تمفصل النص السردى إلى مقاطع جزئية تربطها خيوط رفيعة، وقد يستقل كل مقطع منها بعنوان فرعي خاص مع الإغراق في المشاهد الوصفية وتعدد الرواة وتمازج الضمائر السردية.
- هيمنة السرد بضمير المتكلم، وتغليب الرؤية السردية .
- صعوبة الإحالة على مرجعية خارجية محددة.
- انزياح اللغة السردية عن المؤلف السردى، واحتفاؤها بلغة الشعر المنثور.¹⁵

وما يمكن قوله أنّ شعرية السرد تُعنى بدراسة السرد لاستخراج العناصر الأدبية والجمالية التي جعلت منه عملاً فنياً، لأنّ مهمتها هي استنباط القوانين التي يقوم عليها السرد، من خلال دراسة عينات أدبية، لتعمم النتائج التي تحصلت عليها على مختلف الخطابات الأدبية المشابهة لتلك العينات.

وعن علاقة الشعرية بالسرد وحسب دراسة "جينت" فقد ركز في كتبه على السرد (الحكاية) والخطاب، هذا الأخير تتضح الشعرية فيه من خلال ما ينطوي عليه من خصائص جمالية داخلية مشكلة لمنه الحكائي، في غياب تام للمؤثرات الخارجية المحيطة بالخطاب، فتصبح بذلك الشعرية هي الطاقة المزودة للخطاب بتلك المكونات الجمالية والعناصر الفنية.

4- اتجاهات الشعرية:

4-1- التصور الفلسفي:

ويمثله كل من "أفلاطون وأرسطو"، إذ تطرق "أفلاطون" إلى موضوع الشعرية وعدّها محاكاة، وهو المبدأ الذي بنى عليه جل دراساته، حيث ربط كل الأعمال الفنية بتقليد التقليد من خلال الدوائر الثلاث المكونة للوجود (عالم المثل - عالم الحس - عالم الظلال والصور والأعمال الفنية) وأشار بأنّه بحاجة إلى شعراء في جمهوريته.

ويمثل شرح "أفلاطون" بمثابة نقطة الارتكاز التي قامت عليها ماهيات الشعرية في أطروحات النقاد العرب والأجانب، كما تأثرت فئة الشعراء بهذا الطرح في تحديدهم لمفهوم الشعر، وأصبح حديث الشعراء عن الشعرية حديثاً مغابراً لأطروحات الفلاسفة، لكن مهما كانت طبيعة هذا التغاير فإنّ التعريف الأفلاطوني يظل بمثابة الشمعة التي أضاءت ليل الشعرية بمفهومها الحدائي.¹⁶

فنجد "أفلاطون" تناول قضية الشعر التقليدي مستندا في ذلك إلى أنّ الشعر عبارة عن محاكاة، فالمحاكاة الأولى تكون لعالم المثل، بينما الثانية هي محاكاة الشيء الذي يقلّد عالم المثل¹⁷. وهذا يكون الشعر عند "أفلاطون" قد اعتمد على الصيغة الموسيقية، أمّا الشعرية بالنسبة له فارتبطت بالمحاكاة.

كما يعد كتاب فن الشعر "لأرسطو" الأرضية الصلبة التي انبنت عليها جل الدراسات النقدية والأدبية، إذ يعد هذا الكتاب النواة الأولى التي من خلالها انبثق مصطلح الشعرية، وشاع في الدراسات التي تلت هذا الكتاب.

غير أنّ "تودوروف" يرى أنّ كتاب فن الشعر لأرسطو ليس موضوعه الأدب أو نظريته، وإنّما هو كتاب في التمثيل أو المحاكاة عن طريق الكلام¹⁸، أمّا "نور ثروب فراي" فيرى أنّ مصطلح البيوطيقا عند أرسطو يعني نظرية النقد، إذ عالج في هذا المؤلف الشعر وتناوله مثل عالم الأحياء. كما تناول أنواعه وصاغ قوانين التجربة الأدبية العامة، كما آمن بوجود فكرة الكيان المعرفي القابل للفهم الذي يُكتشف من البيوطيقا¹⁹، وها ما يدل على التداخل والارتباط الوثيق بين الشعرية والفلسفة .

وفي كتاب "أرسطو" نجده أيضا قد عالج جملة من المواضيع من بينها مبدأ المحاكاة بالرغم من أنّه لم يكن السبّاق إلى مصطلح المحاكاة، إلّا أنّه كان أول من صرح بأنّ الفن محاكاة.

وتعتبر المحاكاة عند "أرسطو" تحويرا لمحاكاة أستاذه "أفلاطون"، هذا الأخير يعتبر أنّ كل قصيدة هي عبارة عن سرد، وتتحقّق المحاكاة بصفة تامة في النص المسرحي، لأنّه يحوي السرد والمحاكاة الخالص، أمّا عند "أرسطو" فيرى أنّ المحكي الدرامي والمحاكي الملحمي في التراجيديا والملحمة هما صيغتان للمحاكاة.

ونجد "أرسطو" في تناوله للقضايا النقدية ضمن كتابه يؤكد أنّ المحاكاة شكل تتجلى في سائر أنواع الفنون مهما اختلفت وسائلها، وهذه الأنواع تتمايز عن بعضها إمّا بـ:

1_ المادة أو الوسيلة

2_ الموضوع

3_ الطريقة²⁰.

وقد أكد "أرسطو" أنّ الوزن العروضي وحده لا يصنع الشاعر الحقيقي، فلا بدّ من توفر مبدأ المحاكاة كي يكون المبدع شاعراً، وهذا هو الفرق الجوهرى بين الشاعر والناظم.

أمّا عن اختلاف الموضوع فيتجلّى في محاكاتهم للشخصيات التي تصنع عملهم الفنى، وذلك باختيار الشخصيات التي تناسب الشخصيات التي يحاكونها، أمّا عن اختلاف الطريقة فتكون:

1- استخدام السرد، حيث تتقمص الشخصية شخصية أخرى وتتحدث عن لسانها.

2- وقد يكون أسلوب الحكى مباشراً.

3- وإمّا أن تعرض الشخصيات أثناء تأديتها لأفعالها درامياً²¹.

ومنشأ الشعر عند "أرسطو" يرجع إلى سببين رئيسيين :

الأول: المحاكاة الفطرية التي يكتسبها الإنسان منذ طفولته، والتي تعينه على تحصيل المعارف، فهي المميّزة للإنسان عن الحيوان.

الثاني: المتعة التي يحصل عليها الفرد عن طريق جودة تنفيذه للأعمال المحكية.

ومن هنا فالمحاكاة تعد فطرية إلّا أنّ الإنسان يطورها لتولد له شعراً عظيماً. والشعر عند "أرسطو" يقسّم إلى اتجاهين وفقاً لمبدأ المحاكاة، وهذا هو ما جعل الشعر صنفين:

أ- شعراء ذوو طباع نبيلة يحاكون الأشياء الجميلة.

ب- شعراء ذوو طباع فاسدة يحاكون الأشياء القبيحة²².

وبهذا تعد المحاكاة هي روح الشعر وجوهره، وهي الخاصية التي تميزه عن النثر متمثلة في الوسائل الثلاث: (الإيقاع، اللغة، الانسجام)، والشاعر الموهوب والمتفنن عنده هو الذي يمتلك آلية التنبؤ والاستشراف.

فملخص شعرية عنده مرتبطة كل الارتباط بعملية الإبداع الفنى الناتج عن الكلام المعتمد على التركيب والبناء، حيث ربط الشعرية بمبدأ المحاكاة التي ورثها عن أستاذه أفلاطون، واعتبرها هي روح الشعر وجوهره وهي التي تميزه عن النثر، كما شحن هذا المصطلح بأبعاد ودلالات جديدة أعطت للشعر ولفن عموماً تلك القيمة والمكانة التي حرم

منها في جمهورية "أفلاطون"، كما ربط أيضا بين الشعر والنفس البشرية أو الإنسانية في تحديده لمصطلح الشعرية، لترتبط بذلك هذه الظاهرة اللغوية من حيث نشأتها بالفكر اليوناني.

2-4- الشعرية في التصور النقدي:

لقد اهتمت الشعرية بقضايا البنيات اللسانية، مثلما اهتم الرسم بنياته، وبما أنّ اللسانيات هي شاملة للبنيات اللسانية، فمفاد ذلك أنّ الشعرية تعد جزء لا يتجزأ من اللسانيات²³، من هنا كانت انطلاقة "جاكسون" في دراسة الشعرية، حيث خصص في كتابه الموسوم بـ"قضايا الشعرية" جزءا سماه بـ"اللسانيات والشعرية"، واعتبرها من المواضيع الريادية في حقل الدراسات النقدية، إذ يجب-حسبه- أن تحظى بقسط كبير من الدراسة والتحليل.

والميدان الذي تتجلى فيه الشعرية بشكل واضح هو الشعر، كون نسيجه محملا بعناصر جمالية تؤهله لذلك، لكن هذا لا يعني حصره الشعرية في هذا المجال، بل هي ممتدة إلى أبعد من ذلك "فالدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية ينبغي أن تتجاوز حدود الشعر، ومن جهة أخرى لا يمكن للتحليل اللساني للشعر أن يقتصر على الوظيفة الشعرية، فخصوصيات الأجناس الأدبية المختلفة تستلزم مساهمة الوظائف اللفظية الأخرى"²⁴ إلى جانب الوظيفة الشعرية المهيمنة، التي هي إحدى الغايات التواصلية في الرسالة اللفظية.

فقد عرفت الشعرية عند "رومان جاكسون" بما يسمى بنظرية التواصل التي تتألف عنده من ستة عناصر أساسية، تتوزع وفق نظام هرمي متنوع، وهي موجودة في كل فعل تواصل لفظي، وهي:

- المرسل (الوظيفة الانفعالية)

- المرسل إليه (الوظيفة الإفهامية)

- الرسالة (الوظيفة الشعرية)

- السياق (الوظيفة المرجعية)

- القناة (الوظيفة الانتباهية)

- الشفرة (الوظيفة المعجمية)

فالشعرية عند "جاكسون" هي العلم الذي يبحث في أدبية العمل الفني، وهي تتجلى في الدراسة اللسانية للوظائف اللغوية من منظور لساني سواء كان ذلك في الشعر أم في بقية فنون القول الأخرى، مع التركيز على الوظيفة الشعرية في ذلك.

أما "تودوروف" فبالرغم من أنّ الشعرية عنده تظل مجرد نظرية أدبية لا ترقى إلى أن تصبح علما قائما بذاته، إلا أنّه عالجه وطرحها في العديد من أعماله النقدية، حيث انطلق في تحديده لمفهوم الشعرية من كونها مجموعة من القوانين العامة والخصائص التي تحدد أدبية العمل الأدبي، لتكون مهمة الشعرية هي البحث في تلك الخصائص المميزة لعمل أدبي ما وليس العمل الأدبي في حد ذاته، ويتضح ذلك في قوله: "ليس العمل في حد ذاته هو موضوع الشعرية، فما نستنتقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي، وكل عمل عندئذ لا يعتبر إلا تجليا لبنية محددة وعامة ليس العمل إلا إنجازا من إنجازاتها الممكنة"²⁵.

ويأتي مفهوم "تودوروف" للشعرية بناء على نقده لـ "جون كوهن" فيما أسماه بـ (علم الشعراء)، حيث عدّ هذا الجنس شكلا خاصا للغة. وخصّه بدراسة الصور الشعرية للغة، حيث رأى أنّ الأشياء تدرس باختلافها عن غيرها. إلا أنّ "تودوروف" عارضه في ذلك كون أنّ تعريف الشعر لا يكفي أن نقول أنّه يختلف عن النثر في كذا وكذا، لأنّ الشعر والنثر يجمعهما قالب واحد ألا وهو الأدب.

والمتتبع لنقد "تودوروف" يجد أنّه لا يخالف "جون كوهن"، وإنّما هو في نظرتة أوسع من "كوهن"، خاصة فيما يتعلق بالشعرية، فهو يقرّ بنفسه أنّ البحث حول هذه القضية لا يزال مستمرا والنقاش دائم حول قضاياها وعلاقتها بمختلف الأجناس الأدبية.

وقد دعا "تودوروف" إلى دراسة الخطابات باختلافها، دون الاقتصار على الأدبي والمملفوظ منها فقط، وبذلك فالشعرية ستقوم بمهمة الكشف عن تلك النصوص بأشكالها الرمزية ككل. فالشعرية -حسب تودوروف- تتواجد في الشعر والنثر معا، وهي ليست بمعزل عن بقية العلوم التي تهتم بالخطابات كالفلسفة والمسرح والدين والسياسية وغيرها من الخطابات التي لها صلة مؤكدة بالأدب.

ومفهوم الشعرية عنده "يتحدد من خلال نتاجه في النقد التنظيري والتطبيقي، وتأسيسه لموضوع الشعرية في النصوص الأدبية ينبع أساسا من المفهوم الإجرائي للخطاب الأدبي وخصائصه ومكوناته البنيوية والجمالية".²⁶

يعد "تودوروف" من أهم النقاد الذين أصَلوا ونظروا لمفهوم الشعرية في النقد الأدبي الحديث وفَصَل في مفهومها وتاريخها في العديد من مؤلفاته خاصة في كتابه المعنون بـ: "الشعرية"، حيث قسّم الخطاب الأدبي إلى فرعين أساسيين هما:

أ - التفسير: وهو الشرح والتوضيح والتأويل للموضوع، وله شكلان:

- التفسير الحرفي: ومهمته شرح الكلمات والمعاني والتراكيب، ونجده لم يحقق تطورات.
- التفسير المجازي: وهو البحث في أقصى الإيحاءات التي يذهب إليها النص للوصول إلى معناه الحقيقي.

ب- النظرية: ومهمتها استنباط المقولات العامة، وخصائص النصوص غير أنّ هذه المقولات متغيرة²⁷.

إنّ أهم خاصية تميز الشعر عن النثر هي النظم، حيث يرى "تودوروف" أنّ العروض مرادف لهذا المصطلح أو الخاصية، وهو ما نصطلح عليه في اللسانيات بالتوازي، الذي يعد ركيزة الشعر، حيث يتعالق المستوى الصوتي مع اللفظي والتركيب. وقد حددت مجالات الشعرية عنده في ثلاث وهي:

- تأسيس نظرية ضمنية للأدب.

- تحليل أساليب النصوص.

- تسعى الشعرية إلى استنباط الشفرات المعيارية التي ينطلق منها الجنس الأدبي.²⁸ الشعرية الحقيقية هي التي تستنطق خصائص العمل الأدبي وتبحث عن اللأئي الجمالية، وهي التي تحدد خصوصية الأدب وتصنع فرادة الحدث الأدبي، وتتميز شعرية "تودوروف" بأنها تبحث عن القوانين العامة التي تكوّن المعنى ولا تعتمد التأويل فالملحظ أنّها متأثرة بالبنيوية، أي غايتها البحث عن أدبية الأدب.

"جون كوهن" هو الآخر حاول في مدخل كتابه المعنون بـ: بنية اللغة الشعرية إعطاء تعريف لمصطلح الشعرية، حيث أكد أنّ الشعرية موضوعها هو الشعر، وهذا ما جعل النيويين يبحثون عن العملية في العلوم الإنسانية ومحاولة مقارنتها وتشبيهاها بالعلوم الطبيعية لكي تتحقق فيها الدقة، فيسهل الوصول إليها.

وأمام هذا الاتساع لمصطلح الشعر لم يجد "كوهن" حلاً إلا أن يحاول إيجاد شعرية عامة تربط تلك الموضوعات بعضها ببعض سواء أكانت فنية أم طبيعية لإثارة الانفعال الشعري. وقد دعا الباحث إلى أنّ تكون الشعرية علماً قائماً بذاته، واصفاً إياها بـ "علم الأسلوب الشعري"، والدراسة فيها لا بد أن تنحصر وتقتصر على الملامح الأدبية الخالصة وربطها بتحليل الأشكال الشعرية للغة وحدها، وهذا التحديد جعل بحثه مقتصرًا على الأدب فقط.

فالشعرية من خلال هذا الطرح لا تهتم بالشعر وحده فقط، بل تتناول النثر أيضاً، وهذا الحصر يعود لأسباب منهجية ذكرها "جون كوهن"، حيث إنّ للشعر خصائص يميّزها عن غيره من الفنون، وقد حدّد هدف الشعرية في "البحث عن الأساس الموضوعي الذي يستند إليه تصنيف كل نص في هذه الخانة أو تلك"²⁹، وتسعى الشعرية بأن تكون علمية، وللوصول إلى ذلك حاول أن يقارن بين الشعر والنثر.

وتطرق "كوهن" إلى التفريق بين الشعر والنثر في المستوى الصوتي والدلالي على حدّ سواء من خلال ظاهرة الانزياح دون إقصاء للدلالة، وتوجد سمات خاصة على المستوى المعنوي تعد رافداً آخر للغة الشعرية، وللانزياح تركيز كبير عند "كوهن"، ويعطيه طابعاً تعميمياً على مستوى القصيدة ومكوناتها ككل، لتتحرف مكونات القصيدة عن القاعدة، وتتمظهر في بنية اللغة الشعرية للنص، ومن ثم تصبح اللغة الشعرية واقعة أسلوبية بالمعنى العام.

ويختلف "كوهن" مع "جاكسون" في هذه النظرة كون الأول معروف بنظرية الانزياح، أمّا الثاني فمعروف بالوظيفة الشعرية³⁰.

كما يعتبر "كوهن" الغموض أحد الخصائص الجوهرية المميزة للغة الشعرية، لأنّ المكونات اللغوية للشعر حسب رأيه كلها عبارة عن غموض إيجابي يعطي للشعر قوة وسحر لغوي وشعرية فنية.

ونظرية "جوهن كوهن" المتمثلة في الانزياح تمرّ بمرحلتين هما:

1_ خرق قانون اللغة، ومناقضة النثر: وهذه المرحلة لا يمكن الوقوف عندها، كونها مرحلة سالبة.

2_ إعادة البناء: من خلال إعادة بناء ما خرق، وتعد هذه المرحلة موجبة عكس سابقتها ومن خلالها يحمل فهم وتقبل الشعر ثم الإعجاب به، وهذا هو الموضوع الذي تدرسه الشعرية، ويتحقق هذا الانزياح عبر عدة مستويات أهمها المستوى الصوتي والمستوى الدلالي³¹.

والخاصية الجوهرية التي تميزها الشعر من النثر هي الإيقاع، حيث كانت نظرتة حول الشعرية ذات اتجاه لساني، تمتاز بأنها جنس لغوي يبحث في خصائص اللغة الشعرية.

5- خاتمة:

وفي الأخير نستنتج أنّ "الشعرية" مصطلح قديم فقد أخذ في البداية اسم "نظرية الأدب" بداية من "أرسطو" إلى أن وصل إلى الرومانسيين الذي أطلقوا عليه اسم "الشعرية"، حيث اهتمت الدراسات الفلسفية والنقدية بهذا المصطلح واتخذت من الإبداع الفني مادة لأبحاثها، كما حاولوا التنظير لهذا المصطلح والبحث في تاريخه وشرح مفاهيمه وصلته بالعلوم الأخرى.

والشعرية من خلال ما تم طرحه في الجانب الفلسفي هي مرتبطة بالشعر التقليدي وبمبدأ المحاكاة في نظر "أفلاطون" و"أرسطو"، أما في النقد الحديث فتختلف عن النماذج الشعرية الكلاسيكية، فشعرية "جاكسون" تنحصر في الدراسة اللسانية، من خلال الوظائف الشعرية الستة التي سبق ذكرها، وعليه يمكن أن نختصر تحديد "جاكسون" للشعرية، في ثلاثة نقاط أساسية وهي:

- اعتبار الشعرية فرعاً من فروع الدراسة اللسانية، وهي العلم الذي يبحث في أدبية الأدب، وتهتم بتنوعات البنية اللغوية خاصة التنوع الذي تهيمن فيه الوظيفة الشعرية، والتي قد تكون خارج الشعر.

- التركيز على القيمة المستقلة للأثر الفني مع انفتاحها على الأنساق الدلالية الأخرى.

- اعتماده نظرية متفتحة لمجالات اشتغال اللسانيات.
شأنه في ذلك شأن "تودوروف" الذي هو الآخر نظر لهذا المصطلح، وتوصل إلى أن الشعرية الحقيقية هي التي تستنطق خصائص العمل الأدبي وتبحث عن اللأئ الجمالية فيه، وهي لا تهتم بالشعر وحده فقط، بل تتناول النثر كذلك، حيث إن للشعر خصائص يتميز بها عن غيره من الفنون.

كما وسع "تودوروف" مجال الشعرية من الشعر ليدرجها ضمن العلوم التي تهتم بالخطابات: كالفلسفة والدين والسياسة والمسرح، مؤكدا صلة ذلك بالأدب.
أما "كوهن" فاعتبر أن مسألة التفريق بين الشعر والنثر هي مسألة إيقاع لا غير، واهتم بنظرية الانزياح من خلال مقابلة الشعر بالنثر، فالشعرية علم موضوعه الجوهرى هو الشعر، ليكون بنظرته هذه أقرب إلى الطرح الفلسفي .

وبهذا تكون علاقة الشعرية باللسانيات والنقد علاقة جزء من كل، نظرا لارتباط الشعرية بهذه الحقول العلمية في العديد من المستويات وانتشارها الواسع في مختلف البحوث اللسانية والنقدية نظريا وتطبيقيا. وانفتاحها على مختلف الخطابات الأدبية، حيث تجاوز حضورها القول الشعري إلى كثير من الأعمال الأدبية، ولكن بنسب متفاوتة، إذ لم تعد حكرا على القصيدة الشعرية بل صارت علما يضم مختلف الأجناس الأدبية والخطابات الفكرية.

الهوامش والإحالات:

- 1 - ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، تج: عبد الله علي الكبير وآخرون، مادة: شعر.
- 2- الجوهري، الصحاح، تج: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990، مادة: شعر.
- 3 - يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص27.
- 4 - برنار فاليت، الرواية، مدخل إلى مناهج التحليل الأدبي وتقنياته، تر: سمية الجراح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 138.
- 5 - جراهام آلان، نظرية التناص، تر: باسل المسالمه، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2011، ص 138-139.
- 6 - صلاح فضل، شفرات النص، دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط2، 1995، ص 4.

- 7- رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1988، ص35.
- 8- رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص 107.
- 9- تزفيطان تودوروف، الشعرية، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 1990، ص 23.
- 10- عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل رومان جاكبسون أنموذجا، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص44.
- 11- تزفيطان تودوروف، الشعرية، ص 44.
- 12 - بشير القمري، شعرية النص الروائي، شركة البيادر للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 1991، ص 10.
- 13- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد براءة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987، ص88.
- 14- جهاد عطا نعيمة، في مشكلات السرد الروائي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001، ص120.
- 15 - يوسف وغليسي، الشعرية والسرديات، قراءة اصطلاحية في الحدود والمفاهيم، منشورات مخر السرد العربي، قسنطينة، الجزائر، 2006، ص 133-134.
- 16 - بشير تاويريت، الشعرية والحداثة بين أفق النقد الأدبي وأفق النظرية الشعرية، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص12.
- 17- عز الدين المناصرة، علم الشعرية، (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص31.
- 18- تزفيطان تودوروف، الشعرية، ص12.
- 19- نور ثروب فراي، تشریح النقد، تر: محمد عصفور، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 1991، ص16.
- 20- أرسطو، فن الشعر، تر: إبراهيم حماده، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ص55.
- 21- المرجع نفسه، ص72.
- 22- المرجع نفسه، ص79-80.
- 23- رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ص24.
- 24- المرجع نفسه، ص 32.
- 25- تزفيطان تودوروف ، الشعرية، ص 23.
- 26- بشير تاويريت، الشعرية والحداثة بين أفق النقد الأدبي وأفق النظرية الشعرية، ص34.
- 27- تزفيطان تودوروف ، الشعرية، ص10-11.
- 28 - عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشرحية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 2006، ص 23.
- 29- جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1986، ص 14.
- 30- المرجع نفسه، ص15.

31- المرجع نفسه، ص 55-69

المصادر والمراجع:

- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون.
- أرسطو، فن الشعر، تر: عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط2، 1973.
- الجوهري، الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990.
- برنار فاليت، الرواية، مدخل إلى مناهج التحليل الأدبي وتقنياته، تر: سمية الجراح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2013 .
- بشير القمري، شعرية النص الروائي، شركة البيادر للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 1991.
- بشير تاويربيت، الشعرية والحداثة بين أفق النقد الأدبي وأفق النظرية الشعرية، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2008 .
- تزفيطان تودوروف، الشعرية، تر: شكري المخبوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1990.
- جراهام آلن، نظرية التناس، تر: باسل المسالمه، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2011.
- جهاد عطا نعيصة، في مشكلات السرد الروائي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001.
- جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب.
- رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1988.
- رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة.
- صلاح فضل، شفرات النص، دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط2، 1995.
- عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل، رومان جاكبسون أنموذجا، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2013.
- عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشرحية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 2006 .
- عز الدين المناصرة، علم الشعرية، (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2006.
- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987.
- نور ثروب فراي، تشریح النقد، تر: محمد عصفور، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 1991 .
- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009 .
- يوسف وغليسي، الشعرية والسرديات، قراءة اصطلاحية في الحدود والمفاهيم، منشورات مخبر السرد العربي، قسنطينة، الجزائر، 2006.